

وعلينا أن نقرر منذ الآن أن هذا المذهب الذي اعتدنا على تسميته بالكلاسيكية هو ما يعرف عند التحقيق باسم المذهب الكلاسيكي الجديد (النيوكلاسيكي) للفرقة بينه وبين كلاسِيكية اليونان والرومان القدامى ، وهو المذهب الذي أخذه الأنجليز عن الفرنسيين ، وليس مصدره في الحقيقة أقوال أرسطو كما كان يدعي النقاد ذاتهم ، بل ثروح النقاد الايطاليين وتعليقاتهم على أقوال أرسطو في القرن السادس عشر (٥٩) .

الأسس العامة للكلاسيكية :

١ - كان السلطان المطاق في الأدب الكلاسيكي للعقل ، ولهذا طالما وصف بأنه أدب عقلي ، ولقد نشأت هذه العقلانية ونمت في أوربة ، وتطلعت لا إلى الكتاب المقدس بل إلى دنيا الطبيعة ، والطبيعة كما قال جاليليو (١٥٦٤ - ١٦٤٢ م) لا يعرفها إلا من يفهم لغتها - لغة الرياضيات - وبعد حين قليل من الزمن أكد ديكارت الفرنسي باحث الفلسفة الحديثة ، أن معرفة الرياضيات قد تصبح مصدر المعرفة جميعاً ، ورأى أن عالم المادة كله ، بما فيه الحياة الحيوانية (بل حتى الإنسان لولا قواه العقلية) تفرره نواميس الفيزياء ، فالكون بأسره ليس سوى آلة هائلة ، هذا الكون (الآلة) الذي رسم ديكارت خطوطه الكبرى وضع نيوتن فيما بعد تفاصيله ، في مؤلف من أهم المؤلفات وأبعدها أمراً هو كتاب « مبادئ علم الرياضيات » الذي صدر عام ١٦٨٧ وبه أقام الدليل لجيل أخذته الدهشة على أن التفاحة الساقطة والكواكب في مداراتها تطيع نواميس الجاذبية والحركة ، فكأنما نظام الطبيعة انسجم رياضي له نواميسه المنتظمة الثابتة التي لا محيد عنها ولا شذوذ لها ، وما الكون إلا آلة دائمة الحركة ، تنظم نفسها بنفسها وتعمل في حدود الزمان والفضاء .

إن هذه الرؤيا الرياضية لنظام آلي ثابت للأشياء ، قد فقد قدرته على إثارة الدهشة والمعجب فينا ، نحن أبناء القرن العشرين ، الذين تسيطر علينا مفاهيم التغيير التطوري والنسبية ، على أن مأثرة نيوتن لعامة المثقفين في « عصر العقل » قد أصبحت توراة جديدة ، فالترحيب المدهش بها تشير إليه هذه الأبيات للشاعر ألكسندر بوب :